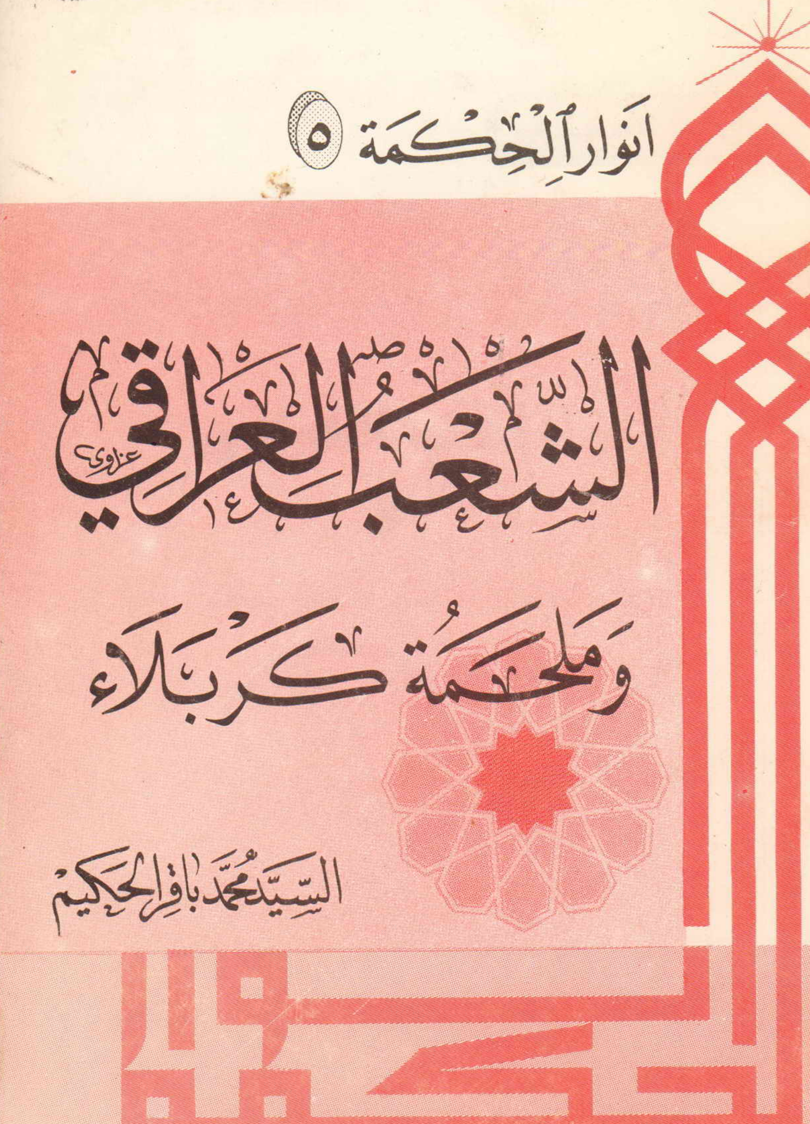
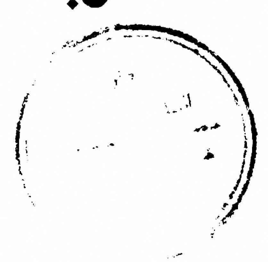

أنوار الحكمة ٥
الشعب العراقي
وملحمة كربلاء
السيد محمد باقر الحكيم





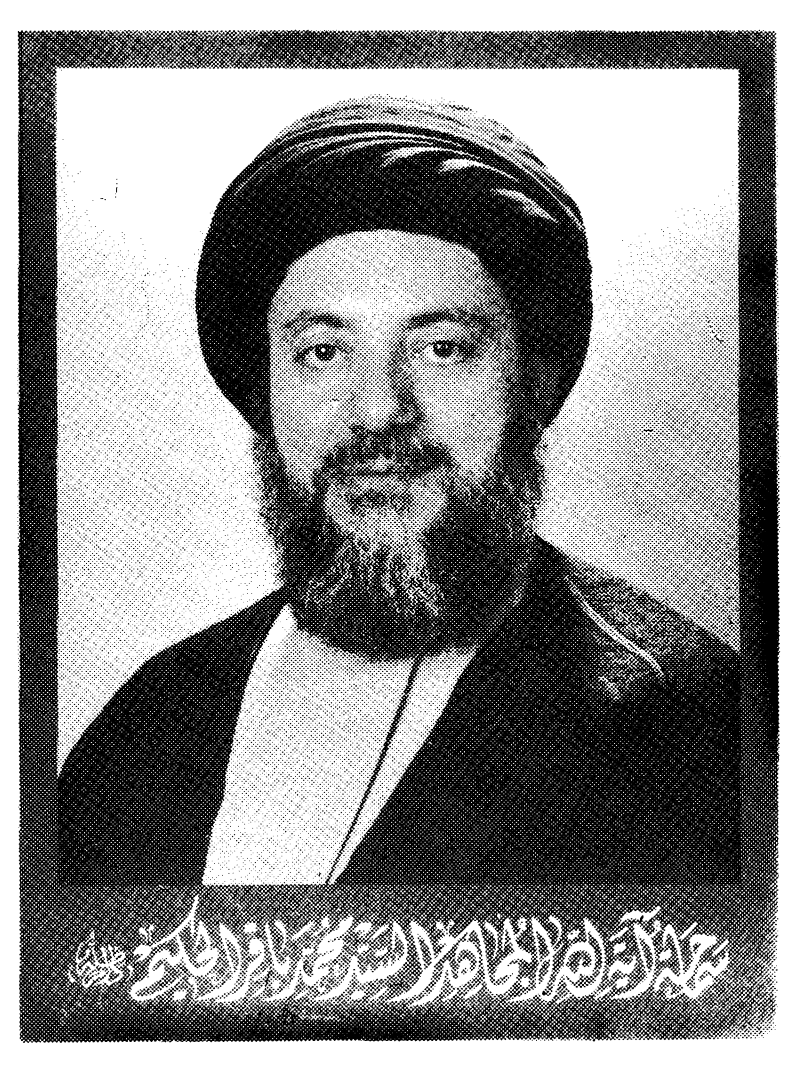

# الشعب العراقي و ملحمة كربلاء



السيّد محمّد باقر الحكيم

٥


بسم الله الرحمن الرحيم


سماحة آية الله العظمى الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قدس سره)

# المقدمة

عُرف العراقيون بولائهم لأهل البيت عليهم السلام منذ بزوغ الإسلام علىٰ ربوع بلادهم ، وابتلوا بلاءً حسنا في انتمائهم لخطهم عليهم السلام .

وعندما وقعت ملحمة كربلاء وهول مصيبتها ؛ فقد أثيرت حول موقف العراقيين تساؤلات ، ووجهت نحوهم انتقادات بعدم نصرتهم للإمام الحسين عليه السلام ، ومدى تفاعلهم مع وقعة الطف .

وظلت هذه الاسئلة تنتظر الإجابة الصحيحة على مرور الزمن .

وفي ـ هذا ـ الكتاب يلمس القارئ العزيز محاولة قائد المسيرة الحسينية في العراق ، والمفكر الإسلامي الكبير

سماحة آية الله السيد محمد باقر الحكيم دام ظله ،في كشف النقاب بتحليل تاريخي ودراسة معمقة ، مجيباً عن بعض الاسئلة المثارة على العراقيين ورفع الإشكالات ، مسلطاً الاضواء على دورهم وموقفهم البطولي في السابق والحاضر ، لنصرة الحق ومناصرة الإسلام ، موضحاً اتخاذهم ملحمة كربلاء معْلّماً يسيرون علىٰ خطاه .

وهو مقتطفات من محاضرات سماحته ألقاها في محرم الحرام عام ١٤١٩ هـ حول : ( الشعب العراقي وملحمة كربلاء ) .

حاولنا جمعها وتبويبها ـ بعد أن أعاد النظر فيها ـ ضمن سلسلة ( أنوار الحكمة ) ليستلهم المجاهدون من فيض عطاء قائدهم المفدىٰ .

**الناشر**

# الملحمة الإنسانية الفريدة

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في الحسين عليه السلام :

**« الحسين مصباح هدى وسفينة نجاة »**(١).

كما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم في سبطيه الحسن والحسين عليهما السلام أنه قال :

**« الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة »**(٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيهما :

**« ابناي هذان [ الحسن والحسين ] إمامان قاما أو قعدا »**(٣).

ملحمة عاشوراء ، الملحمة الإنسانية التاريخية الفريدة ، حيث مصرع سيدنا ومولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام في كربلاء مع أهل بيته ، وأصحابه الكرام وسبي حرمه وعيالاته ... وهم

---

(١) البحار ٣٦ : ٢٠٥ ، عن كمال الدين .

(٢) سنن ابن ماجة ١ : ٤٤ ، حديث ١١٨ .

(٣) الخصال : ٥٧٥ ، إعلام الورى ١ : ٤٠٧ ، طبع مؤسسة آل البيت عليهم السلام .

حرم وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

الحديث حول هذه الملحمة وهذه المصيبة العظمىٰ وما جرىٰ فيها علىٰ الإمام الحسين عليه السلام ، حديث واسع إذ لا نجد لها نظيراً في تاريخ البشرية كلها فضلاً عن تاريخ الرسالة الإسلامية الخاتمة ، وقد تناولها العلماء والخطباء والكتاب والأدباء والشعراء في مختلف أبعادها منذ أن وقعت هذه الملحمة في عام ٦١ هجري حتىٰ يومنا الحاضر ...

وهي تتجدد في كل عام وفي كل عصر وجيل ، وتتسع منتشرة في النفوس والوجدان وفي حياة الناس وفي مختلف أنحاء الأرض ـ في عصرنا الحاضر ـ حتىٰ تكاد أن تعمّ العالم أجمع.

# انتماء الشعب العراقي للحسين عليه السلام

وفي هذا الحديث أحاول أن أتناول هذه الملحمة التاريخية من خلال أبعاد معينة تهم العراق وشعبنا العراقي بصورة خاصة باعتباره شعب وبلد وقعت فيه هذه الحادثة ... ولازال يعيش آثارها ويستلهم دروسها ويتفاعل معها في عقله ووجدانه وسلوكه الفردي والاجتماعي.

وسوف نعالج هذا الموضوع ضمن أسئلة رئيسية نطرحها حوله :

**السؤال الأول** : لماذا حدثت هذه الملحمة في العراق دون غيره من بلاد المسلمين ؟

فالحسين عليه السلام لم يولد في العراق وإن كان قد عاش فيه مدة محدودة وهي مدة الخلافة الفعلية لأبيه الإمام علي عليه السلام ، كما أن الحسين عليه السلام لم يكن في العراق عند موت معاوية وتسلّم يزيد السلطة، بل كان في المدينة المنورة ، كما أن الحسين لم يبدأ

نهضته في العراق؛ وإنما في المدينة، ثم واصلها في مكة ـ تقريباً ـ وأنتهىٰ في العراق، فإن الحسين عليه السلام عندما رفض البيعة ليزيد في المدينة وأعلن هذا الرفض وخرج من المدينة مصرحاً بالخروج، كما ورد في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية، حيث جاء فيها:

**«... وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أُمة جدي صلىٰ الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي ...»**[1].

توجه إلىٰ مكة المكرمة، واستقر فيها مدة من الزمن امتدت إلىٰ أربعة أشهر، لأن خروجه من المدينة كان في أواخر شهر رجب من سنة ٦٠ هجرية، وبقي في مكة حتىٰ الثامن من شهر ذي الحجة الحرام من تلك السنة، وبعدها توجه الإمام

(١) البحار ٤٤ :٣٢٩.

الحسين عليه السلام إلىٰ الكوفة ، ووقعت هذه الحادثة في العراق ، وقد كانت الكوفة ـ آنذاك ـ تمثل عنوان العراق .

فالأمام الحسين عليه السلام لم يخرج إلىٰ العراق مباشرة ، وإنما بقي في مكة ، وراسل فيها مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، فكانت له رسل : إلىٰ اليمن ، والىٰ البصرة ، والىٰ الكوفة ، ومناطق أخرى من العالم الإسلامي ، كما أن مكة المكرمة هي ملتقىٰ المسلمين ، ولاسيما أن موسم الحج كان قد أقبل وتحقق مع وجود الحسين فيها .

فقد كان خروج الإمام الحسين عليه السلام في يوم التروية الذي يخرج فيه الحجاج إلىٰ المواقف الشريفة ، وقد التقىٰ الإمام الحسين عليه السلام بمختلف أبناء الأمة الإسلامية ومن مختلف أنحاء العالم الإسلامي من خلال موسم الحج ، ولكنه عليه السلام مع ذلك كله أختار التوجه إلىٰ الكوفة .

ولذا يصبح هذا السؤال ملحاً ويحتاج إلىٰ تفسير منطقي ، وقد نكتفي في هذا التفسير بأن نقول : إن السبب في ذلك ؛ هو

أن أهل الكوفة كانوا قد أرسلوا إلىٰ الحسين عليه السلام يطلبون منه التوجه إليهم ويعرضون عليه النصرة والبيعة له علىٰ النهضة والخروج ... ولكن يبقىٰ السؤال قائماً وهو :

لماذا أختص أهل الكوفة بهذا العرض دون غيرهم؟!، ثم لماذا استجاب لهم الحسين عليه السلام لمجرد هذا العرض مع معرفته بهم من خلال تجربته الشخصية، وتجربة أبيه وأخيه الإمام الحسن عليهما السلام ، ولاسيما أن مجموعة من خاصته ومستشاريه الفتوا نظره الشريف إلىٰ هذه التجربة عندما تلقى هذا العرض ؟!!.

ولكن الجواب الصحيح عن جميع هذه الأسئلة والإثارات؛ هو : أن العراق وأهل الكوفة والشعب العراقي؛ كان يتميز عن بقية بلاد وشعوب العالم الإسلامي، بعدة خصائص ومواصفات ترتبط بالحسين عليه السلام ،وأهل البيت عليهم السلام ، لم تكن موجودة في بقية العالم الإسلامي.

ومن المهم أن نعرف هذه الخصائص والمواصفات عند

دراستنا لنهضة الإمام الحسين عليه السلام ، وكذلك عند دراستنا لتاريخ العراق والشعب العراقي .

وهنا نشير إلىٰ عدة نقاط بصورة موجزة لفهم هذه الخصائص :

## وعي الشعب العراقي

**النقطة الأولى** : إن العراق والشعب العراقي كان يتصف ـ حينذاك ـ بدرجة عالية من الوعي الديني و السياسي للأوضاع الاجتماعية التي كانت تعيشها الأُمة الإسلامية .

فالعراقيون وأهل الكوفة كانوا أعرف الناس بأهل البيت عليهم السلام ، وأعرف الناس بالأمويين وعدائهم للإسلام ، فهم أعرف الناس بفضل أهل البيت عليهم السلام وكرامة أهل البيت وعلمهم وإخلاصهم وأخلاقهم وعلاقتهم بالإسلام وبرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن ناحية أخرىٰ أنهم كانوا أكثر الناس معرفة بالأمويين

وعدائهم السابق للإسلام واستهتارهم بمقدساته وأحكامه وحقدهم على المخلصين من المسلمين ومحاربتهم لعقائد الإسلام.

والسبب في ذلك أن جمهور المسلمين في البلاد الإسلامية وحتىٰ في أطراف الجزيرة العربية ـ وباستثناء عدد قليل من المهاجرين والأنصار الذين كانوا يمثلون بقية السيف من السلف الصالح ـ انفتحت عيونهم بعد وفاة رسول الله ﷺ على الدولة الإسلامية ،وهي دولة قوية عرفوها من خلال عمليات الفتح الإسلامي الواسعة ، والقادة العسكريين لهذه العمليات ، والشعارات العامة التي كانت تطرحها الرسالة الإسلامية الجديدة والتطبيق العام لأحكامها ، دون أن يكونوا قد عرفوا الجذور التاريخية للرسالةالإسلامية ، وظروف الصراع مع المشركين في مكة ، وأهل الكتاب من اليهود في المدينة ، والنصارى في نجران ، وتطورات هذا الصراع وأعماق المداليل الصحيحة للشعارات.

وما جرىٰ في عهد الرسول ﷺ من أحداث ومواجهات ومواقف، وتقييم رسول الله ﷺ لها سواء في مكة ما قبل الهجرة، أو في المدينة المنورة من بعد الهجرة.

المسلمون فتحوا أعينهم علىٰ الفتح الإسلامي وعلىٰ الدولة الإسلامية القوية التي تنشر العدل والهدى والصلاح في مناطق العالم الإسلامي، وكانوا ينظرون للمسلمين من خلال هذه الحركة، حركة الفتح الواسعة ويعرفون رجال الإسلام من خلالها.

أما الخصوصيات والتفاصيل والوقائع وخلفيات الأحداث التي جرت في زمن النبي ﷺ فلم يكونوا يعرفونها، لأنها لم تكن تسجل في كتاب.

وقد قام الخليفة الثاني بمنع التدوين عندما حاول بعض الصحابة القيام بذلك ولم تكن هناك وسائل للنشر، كما أن ما كتب في هامش بعض المصاحف الإسلامية، من تفسير لهذه الأحداث، تم حرقه في عملية إحراق المصاحف القرآنية في

عهد الخليفة الثالث عثمان .

وإنما كانت هذه الأحداث والقضايا والمواقف معروفة لدىٰ مجموعة محدودة خاصة من الناس من البقية القليلة التي عاشت هذه الوقائع والأحداث ، وهي بقية انقسمت على نفسها إلىٰ :

جماعة ارتبطت بالحكم والسلطة بعد رسول الله ﷺ والمكاسب الكبيرة التي حققها الفتح الإسلامي للمسلمين ، سواء علىٰ المستوىٰ المادي في الأراضي والثروات الهائلة والغنائم الواسعة ، أو المستوىٰ المعنوي في توسع الرسالة والهدىٰ ، وسقوط الدولة الفارسية ، وهزيمة الدولة الرومانية ومحاصرتها ، وارتفاع صوت التوحيد في كل مكان .

وجماعة أُخرىٰ كانت لديها الوعي والمعرفة ، ولكنها جماعة استسلمت للأمر الواقع ، ما دام لا يمس مصالحها الخاصة ويحقق لها أهدافها الوقتية ، ولم يكن لديها الإرادة

القوية لمقاومة الانحراف أو الكشف عن الحقيقة والالتزام بها .

وجماعة ثالثة كانت تنتهز الفرص وتركض وراء المنافع الخاصة وتتحرك باتجاهها .

وجماعة رابعة خاصة لم يكن لديها هذا الارتباط بالسلطة ومكاسبها ، كما أنها كانت بدرجة عالية من الوعي والمعرفة والإيمان تحركها المبادئ و القيم والمثل والعقيدة الإلهية ، وتملك الإرادة القوية للعمل والمقاومة وبيان الحق ، ولكنها كانت ترجح السكوت :

«**فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَىٰ هَاتَا أَحْجَىٰ ، فَصَبَرْتُ وَفي الْعَيْنِ قَذًىٰ ،وَفي الْحَلْقِ شَجاً**»[1] ، حفاظاً علىٰ وحدة الأُمة الإسلامية وفي مواجهة أعدائها الداخليين والخارجيين ، وعلىٰ المكاسب الكبيرة التي حققتها الرسالة الإسلامية ؛ خوفاً عليها من الضرر أو الضياع أو التراجع بسبب الخلافات .

وهنا نجد أن العراقيين كانوا قد اختصوا بعدد من المجموعة

---

(١) نهج البلاغة : خطبة رقم ٣.

الرابعة الخاصة ، وهؤلاء الخاصة عرّفوا العراقيين وشرحوا لهم هذه الخصوصيات وهذه الظروف .

وأول هذه المجموعة هو الصحابي الجليل : حذيفة بن اليمان ، الذي كان من شيعة الأمام علي عليه السلام وكان من أوائل الذين استلموا الولاية بالعراق من بعد فتح العراق ، وكان دوره في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه كان مديراً للمعلومات في جهاز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان صلى الله عليه وآله قد كلّفه بتنظيم هذا الجهاز وإيجاده ، وكان معروفاً بين المسلمين أنه يعرف الأسرار الخاصة بالأشخاص ، ولاسيما المنافقين منهم ، فهو أول والي تولىٰ أمور العراق .

كما أنه كان من القادة العسكريين المهمين الذين فتحوا العراق والبلاد الشرقية له ، وهي بلاد الدولة الفارسية[١] .

ثم جاء من بعده في الولاية : سلمان الفارسي ، الذي كان

---

(١) الدرجات الرفيعة : ٢٨٣ ـ ٢٨٩ ، وتنقيح المقال ١ : ٢٥٩ ، برقم ٢٣٦٧ .

يتميز بمعرفته للتجارب الإنسانية السابقة وللرسالات الإلهية ، كما كان يعرف الظروف السياسية والاجتماعية التي عاصرها في زمن النبي ، لملازمته لرسول الله ﷺ وللإمام علي عليه السلام ، حتىٰ قال رسول الله ﷺ فيه : « **سلمان منا أهل البيت** » ، مضافاً إلىٰ معرفته بتأريخ الديانات السابقة وما جرىٰ فيها وعليها ، وبذلك يستطيع أن يقارن بين الأحداث التي جرت في الأُمة الإسلامية ، وتلك التي جرت في تاريخ الأمم والديانات الأُخرىٰ .

كما أن سلمان الفارسي شارك في فتح العراق ، وكان يقود الجيوش فيه ، ويعتبر المستشار السياسي والعسكري في عملية الفتح ـ أيضاً ـ ، وقد ولاه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب العراق لوجود مثل هذه المواصفات فيه .

نجد بعد ذلك ، عمار بن ياسر الصحابي الجليل ، الذي : كان ـ أيضاً ـ قد عاش فترة الاضطهاد في مكة وقتل واستشهد والده وأُمه في هذا الاضطهاد ، وكان قريباً من رسول الله ﷺ ،

وعاش جميع الأحداث ، وهو من شيعة علي عليه السلام المخلصين ولا تأخذه في الله والإسلام وقضايا الأُمة لومة لائم ، وبقي علىٰ موقفه هذا حتىٰ استشهد في معركة صفين .

وقد روىٰ المسلمون ، ومنهم : عمرو بن العاص ، صاحب معاوية أن رسول الله قال فيه : « **آخر شرابك من الدنيا ضياح من لبن ، وتقتلك الفئة الباغية** »[(١)] ، وقد كان قتله سبباً لتردد جماعة من أصحاب معاوية والشك في صحة موقفهم من الإمام علي عليه السلام .

وقد كان عمار بن ياسر رضي الله عنه يعرف كل التفاصيل وكل الخصوصيات ، وكان والياً علىٰ العراق في عهد الخليفة عمر بن الخطاب بعد وفاة الصحابي سلمان الفارسي ، وكان أحد المعذبين عند الاحتجاج علىٰ الانحرافات التي وقعت في زمن الخليفة الثالث عثمان .

ثم بعد ذلك جاء الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي

---

(١) الاختصاص : ١٤ .

طالب عليه السلام إلىٰ الكوفة ، وإستقر في العراق مدة خلافته التي استمرت أربع سنوات وعدة أشهر .

ومن خلال علي عليه السلام والمعلومات التي كان يمتلكها ، وهو أعلم الناس بما كان يجري في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه كان أول من أسلم ، وصاحبَ رسول الله في حله وترحاله ، وفي مكة والمدينة ، وفي الغزوات ، وكان يتحمل المسؤوليات الخاصة ، لأنه كان أخص الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كما أن الكوفة أصبحت مركز الخلافة والصراع الذي قاده علي عليه السلام ضد الانحراف ، وهو صراع سياسي داخلي بالدرجة الأولىٰ ، وهو صراع ثقافي وعقائدي في فهم الإسلام وتفسيره ( صراع وقتال على التأويل ) ، كما جاء في التعبير عنه علىٰ لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبذلك أصبح أهل الكوفة أكثر الناس وعياً للحقائق الإسلامية وخلفياتها ، وأكثرهم تأثراً بالأحداث وتشابك الخطوط السياسية والفكرية والثقافية .

ويبدو ذلك واضحاً من خلال ( نهج البلاغة ) ومراسلات

الإمام علي عليه السلام، وخطبه، وتصدي الأمام علي عليه السلام لبيان الحقائق والخلفيات التاريخية بشكل عام، بحيث تمكن الإمام عليه السلام، ومن قِبَلِه من الولاة؛ أن يوجدوا صفوة متميزة من الواعين فكرياً وسياسياً في الكوفة، لا نجد مثيلاً لها في العالم الإسلامي كله، كما تمكنوا من أن يوجدوا إلىٰ جانبها فهماً واسعاً ومشاعر وعواطف نبيلة، تتفاعل معها في أوساط الأُمة.

ومن هنا نجد: أن العراقيين كانوا أول شعب يبادر بالكتابة إلى الإمام الحسين عليه السلام، يطالبه بالخروج ويستنهضه للإصلاح ومواجهة الظلم والطغيان والانحراف.

وقد بادر العراقيون إلىٰ ذلك قبل وفاة معاوية ـ أيضاً ـ وذلك عندما أستشهد الإمام الحسن عليه السلام، وظنوا إن الإمام الحسين الذي لم يدخل مع معاوية في ميثاق الهدنة بصورة مباشرة يمكنه أن يتخذ موقفاً آخراً غير موقف الإمام الحسن عليه السلام، ولكن الإمام الحسين عليه السلام رفض ذلك انسجاماً مع الموقف الصحيح الذي اتخذه الإمام الحسن عليه السلام وانتظاراً للفرصة المناسبة التي

تتغير فيها الأوضاع السياسية ، بحيث يجد المبررات الشرعية والسياسية والواقعية للقيام بذلك ، وقد بادروا للكتابة مرة أخرىٰ بعد وفاة معاوية ، وبمجرد سماعهم برفض الحسين عليه السلام لمبايعته ليزيد .

ولا نجد مثل هذا الموقف ـ موقف الدعوة إلىٰ النهضة والاستعداد للنصرة والإلحاح في الكتابة إلى الإمام الحسين عليه السلام ـ في أي بلد من بلدان العالم الإسلامي ، ولم يكن ذلك إلا لما كان يتميز به العراقيون من وعي سياسي وفهم عميق للمشكلة الإنسانية والإحساس والشعور بها والحجم الكبير الذي كان يلحق بهم من ظلم وجور .

## المثال الصالح المنشود

**النقطة الثانية :** إن العراقيين قد شاهدوا ولمسوا عن قرب سيرة العدل والإحسان والحق والزهد بالدنيا والفناء في الله

والإخلاص والحرص علىٰ مصالحهم وقضاياهم التي جسدها الأمام علي عليه السلام من خلال سلوكه العام والخاص ، الأمر الذي بقي ماثلاً أمام أعينهم يقيسون عليه سلوك الحكام والولاة فلا يجدون فيهم من يدانيه ويقاربه ، فضلاً عمن يماثله .

وهم وإن لم يكونوا قد تحمّلوا هذا السلوك والتعامل الذي لا يفرق فيه قريب أو بعيد أو قوي أو ضعيف ... ـ باستثناء الصفوة الخاصة منهم ـ إلا أنهم كانوا يجدون الطعم اللذيذ والمنبع الصافي في هذا السلوك الرباني ، ويعرفون فيه الحق والهدىٰ والصواب .

وبقي العراقيون يتطلعون ويطمحون إلىٰ سيرة علي عليه السلام ومنهجه، أو من يقاربه ويدنو منه ، ولا يجدون ذلك إلا في أهل البيت عليهم السلام ، كما يجدون ـ في الوقت نفسه ـ البون الشاسع بين الأمويين وولاتهم ، وبين هذا السلوك والسيرة الربانية .

وهذا الأمر لا ينطبق علىٰ المناطق الأخرىٰ التي شملها الفتح

الإسلامي كبلاد الشام التي كانت تحت سلطة الدولة الرومانية ، لان هذه الدولة كانت باقية في المنطقة ، وان كان قد تقلص نفوذها ، كما أن الأمويين الذين تولوا إدارة البلاد منذ بداية الفتح الإسلامي لها ، كانوا قد وطدوا دعائم سياستهم المنحرفة ، المشابهة لسيرة الدولة الرومانية ، كحالة إسلامية جديدة في نظر أهل الشام لامناص من الالتزام بها .

وقد كان لهذا الوضع الاجتماعي والسياسي الخاص لأهل الكوفة ؛ اثر كبير في إيجاد الارتباط بين هذه الأوساط وأهل البيت عليهم السلام الذين كان ينظر إليهم المسلمون ، ومنهم هذا الوسط من أهل العراق ، انهم مثال العدل والمساواة في الحقوق وفي النظرة الإنسانية .

وقد شهد أهل العراق ذلك ولمسوه نظرياً وعملياً في خلافة الإمام علي عليه السلام بصورة خاصة ، وفي شيعته الذين تولوا العراق بصورة عامة .

**النقطة الثالثة** : أن الصراع بين أهل العراق وأهل الشام في أيام الإمام علي عليه السلام ؛ كان له آثار واسعة وكبيرة بعد ذلك في موقف أهل العراق الإيجابي من أهل البيت وموقفهم السلبي من الأمويين لعدة أسباب :

أ ـ تضحية جماعة كبيرة من أهل العراق من اجل المبادئ والمثل التي كان يرفعها الإمام علي عليه السلام ، ويجسدها في سلوكه ضد أهل الشام ، حيث تركت آثارها في الموقف العام لأهل العراق ، ويمكن أن نجد ذلك واضحاً في خطب ورسائل الإمام علي إلىٰ معاوية .

ب ـ نمو روح العداء والحقد ؛ بسبب الآلام والمحن التي لاقاها أهل العراق من أهل الشام ، في عمليات القتال والقمع والمطاردة والنهب والسلب ، ويبدو ذلك في الأعمال الحربية التي شنها جيش معاوية والغارات التي قام بها ضد الناس والتي

طالت ـ أيضاً ـ أهل العراق .

ج ـ سياسة التمييز التي كان يتبناها معاوية والأمويون تجاه العراقيين ، لأنهم كانوا يفضلون أهل الشام علىٰ أهل العراق في العطاء والمواقع والثقة والوضع المعنوي والاجتماعي ، مما رسَّخ روح الاستعلاء لدىٰ أهل الشام تجاه العراقيين .

وقد عبر معاوية عن ذلك منذ اليوم الأول للاستيلاء علىٰ السلطة في العراق بعد عقد الصلح مع الإمام الحسن عليه‌السلام في خطابه الأول المعروف ( والله إني ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزّكوا إنَّكم لتفعلون ذلك ، ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم ... )[1] .

د ـ التهديد الذي كان يواجهه العراقيون من جيش الشام واقعياً وعملياً ، تجاه طموحاتهم في العدل والحرية والاستقرار والتزام المنهج القويم الذي يؤمن به عامة الكوفيين من أهل العراق كأُمة وشعب .

---

(١) البحار ٤٤ : ٤٩ ، عن الإرشاد .

وقد كان هذا الموقف العدائي من أهل الشام والعدوان المستمر من قبلهم، يسوق العراقيين بصورة طبيعية إلىٰ أهل البيت عليهم السلام؛ لأنهم الكهف الحصين والملجأ الذي يؤوي إليه الناس والأمل في الخلاص من ظلم الأمويين وجورهم الذي كان يتجسد واضحاً في سلوكهم تجاه العراقيين.

## التعدد القومي في العراق

**النقطة الرابعة**: أن الشعب العراقي قبل الإسلام كان محكوماً للدولة الفارسية، وكان يضم عدداً كبيراً من الأفراد الذين ينتمون إلى الفرس والأقوام الأخرى، الذين يعبّر عنهم بلغة ذلك العصر بـ( الحمراء ) ( البيض الألوان ) وبالأعاجم، وتحوّل هؤلاء بعد الفتح الإسلامي إلىٰ حلفاء للقبائل العربية، أو عمال وصناع وكتاب ودهاقين في مجتمع الدول الإسلامية.

وقد ورد في التاريخ: أن مجتمع الكوفة يغلب عليه الموالي

أو تكثر فيه ( الحمراء ) وهم من أصول غير عربية ( الفرس ، والكرد ، والترك ) ولذا كانت تغلب الحمرة والبياض على وجوههم .

وقد تعرض هذا الصنف لواسع من الناس ـ مع الأسف ـ إلى معاملة سيئة بسبب السياسات المنحرفة للدولة أو للولاة ، الذين كانوا يتولون إدارة هذه البلاد ، ولاسيما في عهد الخليفة الثالث ، وعهد معاوية ، بحيث كانوا يعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية والثالثة ، سواء في الامتيازات الحقوقية أو الاحترام المتبادل بين طبقات المجتمع الإسلامي ، أو غير ذلك من الشؤون ، وهذه السياسة كانت تواجه بمشاعر الاستياء لدى هذه الأمة من الناس ، ولدى الصفوة الصالحة من أبناء القبائل العربية ، وإن كانت تلقى الرضا من بعض الرؤساء وأبناء القبائل العربية الذين لازالوا يتأثرون بالمشاعر الجاهلية ، وزاد في الأمر سوءاً ، هو الشعور بالاستعلاء لدى بعض المسلمين والشعور بالدونية لدى الموالي ، بسبب الغلبة من ناحية وسقوط الدولة

الفارسية التي كان ينتمي إليها هذا الوسط الواسع من الناس.

مضافاً إلى وجود قبائل عربية من خارج المنطقة جاءت بقوة الفتح، ليصبح لها دور جديد في الحياة الاجتماعية بسبب منعة الفتح الجديد وتبدل موازين القوى، كما هو الحال في القبائل اليمنية والحجازية التي استقرت في الكوفة.



فالإمام الحسين عليه السلام إنما توجه إلىٰ العراق؛ لأنه عليه السلام وجده البلد الوحيد الذي يتميز بهذه المواصفات التي تؤهله لهذه النهضة وتحمل مسؤوليتها، كما كان الشعب الوحيد الذي لبّى نداءه وكتب له وألحّ عليه، ولم يكن اختياره للعراق خدعة أو جهلاً بالواقع العراقي؛ وإنما كان اختياراً قائماً علىٰ أساس فهم هذه المواصفات واستجابة للمسؤولية الشرعية، للنداءات التي أطلقها العراقيون وقدموا من خلال المبررات الاجتماعية

والغطاء السياسي لنهضته.

وقد كان الإمام الحسين عليه السلام يعرف هذه الحقائق، كما يعرف النتائج المترتبة علىٰ هذه النهضة، كما شرحنا ذلك في تحليلنا لثورة الإمام الحسين عليه السلام [1]، ولكنه من أجل تحقيق المزيد من الثقة بهذا الواقع، والحصول علىٰ المزيد من المبررات السياسية للحركة، وتعميق الشعور بالمسؤولية لدىٰ العراقيين من أهل الكوفة، أرسل إليهم ثقته وأمينه الخاص وسفيره وابن عمه (مسلم بن عقيل)، الذي وجد أمامه ـ أيضاً ـ هذه الحقيقة واضحة، مع انه كان في البداية يعيش مشاعر الشك والتردد تجاه هذا الموقف من العراقيين، فكتب مسلم بن عقيل للحسين عليه السلام يشجعه علىٰ المجيء إلىٰ العراق ويؤكد له هذه الحقيقة بعد الفحص والتبين [2].

وبهذا يصبح الجواب عن السؤال السابق هو: أن اختيار

---

(١) ثورة الحسين عليه السلام: ٢١ ـ ٢٣، للمؤلف.

(٢) البحار ٤٤: ٣٣٦، الطبري ٤: ٢٩٧، طبع مكتبة أرومية.

الإمام الحسين عليه السلام للعراق كان يقوم علىٰ أساس أن أهل العراق كانوا يمثلون طليعة المسلمين في وعيهم السياسي وإحساسهم بالمشكلات الإنسانية والأخلاقية للأُمة ، ويمثلون القمة في الشعور والإدراك للظلم والجور والانحراف ، الذي كان يمارسه الحكم الأموي .

# أسباب وقوع فاجعة كربلاء

**السؤال الثاني :** وهنا يبرز سؤال آخر يحتاج إلىٰ المعالجة وهو :

إذا كان الشعب العراقي بهذا المستوىٰ من الوعي والمواصفات في الانتماء إلىٰ أهل البيت والموقف تجاههم ، وكان هو الشعب الذي بادر وطالب بالنهضة وتحرك من أجل تحقيق الأهداف الصالحة ، فلماذا تخاذل العراقيون ووقعت هذه الفاجعة في العراق ؟! ولماذا قتل الإمام الحسين عليه السلام بهذه

الطريقة المأساوية الفريدة ؟!.

توجد مجموعة من الأسباب والعلل وراء وقوع هذه الحادثة المأساوية التي لا يوجد لها نظير في التأريخ، وهذه الأسباب بعضها عوامل مشتركة بين أنحاء العالم الإسلامي، وكان لها ـ أيضاً ـ تأثير على العراق بصورة مشتركة، وبعضها عوامل كانت تؤثر في العراق بصورة خاصة.

فمن **النوع الأول** نجد الأسباب التالية :

**الأول** : عدم وضوح الرؤية للموقف السياسي وعدم وضوح الحكم الشرعي والعملي تجاه الظاهرة اليزيدية الجديدة التي واجهها المسلمون، وهي ظاهرة أن يستلم الحكم بين المسلمين شخص يدعي الخلافة لرسول الله ﷺ، ولكنه في الوقت نفسه يعلن عدم إيمانه بالرسالة و لا يؤمن بالإسلام، ويسخر بالعقيدة الإسلامية، ويستهزئ بالقيم والمبادئ والأخلاق الإسلامية، ويستهتر بالحرمات، ويحل حرام الله ويحرم حلاله.

فيزيد هو القائل عند مقتل الحسين عليه السلام :

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

وفي نفس الوقت كان يستهتر علناً بالأحكام الإسلامية والشعائر الدينية التي افترضها الإسلام فهو القائل :

ما قال ربك ويلٌ للذين شربوا بل قال ربك ويل للمصلينا

كما كان يشرب الخمر علناً ، ويمارس ألوان الفسوق علناً ، ويسخر بكل معالم الدين .

المسلمون واجهوا هذه الظاهرة الجديدة لهذا الحاكم الفاسق الذي يتجاهر بالكفر والآثام ، وهي ظاهرة لم يكن يعرفها المسلمون بهذه الصورة من قبل .

وحتىٰ معاوية بن أبي سفيان ، لما أراد أن يرشح يزيداً للخلافة ، استشار خاصة أصحابه وكلمهم في ذلك ، فأجمعوا علىٰ نصحه بعدم القيام بذلك ، لما يتصف به يزيد من هذه الخصال والصفات المنكرة ، وحتىٰ زياد بن أبيه الوالي ـ الذي ألحقه معاوية بأبيه أبي سفيان ، وهو أب عبيد الله بن زياد ، الذي

نفذ هذه الجريمة الشنيعة في كربلاء ـ كان رأيه أن لا يقوم معاوية بهذا العمل ، لأن يزيداً لا يصلح لهذا الموقع ، حتىٰ في أدنىٰ المستويات من الأفراد ، الذين يمكن أن يتصورهم الإنسان لهذا الموقع[1] .

وقد كان معاوية قد روج قبل ذلك ـ ضمن خطة ثقافية وسياسية ـ أن الحاكم الإسلامي ، إذا كان جائراً أو ارتكب المعاصي ، فلا يصح الخروج عليه بالسيف ، وإنما ينصح ما لم يتظاهر بالكفر الصريح ، ووضعت أحاديث عديدة علىٰ لسان رسول الله ﷺ والصحابة تعبر عن هذا الموقف ، وكان ولا يزال لها تأثير في الثقافة العامة الإسلامية !

ولكن الظاهرة اليزيدية تبقى ظاهرة تثير الشك ، حتىٰ لدىٰ مثل : هذه الأوساط ، لان يزيداً قد استهتر بكل الحرمات

---

(١) وإذا أردنا أن نأخذ مقارنة في عراقنا الجريح في هذا العصر ، فيمكن أن نذكر : مثلاً عدي بن صدام مثالاً : ليزيد بن معاوية ، والاستهتار المطلق بالدين والشعائر والأحكام الإلهية من قبل كلا النموذجين .

والمحرمات، فهي قضية جديدة أمام المسلمين، يحيط الموقف تجاهها الغموض، ولاسيما في الأوساط التي تتأثر بالحكم الشرعي وتسعىٰ بطبيعة الحال إلىٰ معرفة التكليف الإلهي.

وقد كان أبناء الشعب العراقي بصورة عامة اكثر الناس وعياً لهذه القضية، لما يتصفوا به من وعي ثقافي وديني، ولذا بادروا للكتابة والطلب من الإمام الحسين عليه السلام؛أن ينهض في وجه هذا الطاغية، وكانوا أول من استجاب لنداء الإمام الحسين عليه السلام، ولكن عامة الناس كان لديهم الكثير من التشويش في الرؤية تجاه هذه القضية[1].

**الثاني**: عامل الإرهاب والخوف والقمع، الذي استخدمه الحاكم تجاه عموم المسلمين، ولاسيما الواعين والمخالفين منهم، فمعاوية بن أبي سفيان في مدّة حكمه استخدم أسلوب

---

(١) شرحنا هذا الموضوع -إجمالاً- في كتاب ثورة الحسين عليه السلام: ٣٩-٤٧.

الإرهاب والقتل والتشريد والمطاردة، ولاسيما بعد وفاة الإمام الحسن عليه السلام، وهناك شواهد تاريخية كثيرة يجدها الباحث في مدة ولاية زياد بن أبيه للبصرة والكوفة، وما قام به زياد من أعمال إرهابية تجاه الشعب العراقي بشكل خاص، كما أن هذه الظاهرة شملت مختلف مناطق العالم الإسلامي، وهذا المنهج وتطوره أوجد نوعاً من الرعب في نفوس المسلمين، وهو أحد الوسائل الرئيسية التي يستخدمها الطغاة لتقييد حركة الأُمة للخلاص من الطغيان والظلم.

لهذا العامل المهم شواهد كثيرة نجدها في مقتل: حجر بن عدي وأصحابه، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وغيرهم، وقد أشار إلىٰ ذلك الإمام الحسين وأصحابه ـ في حديثهم عن الأمويين ـ يوم عاشوراء.

وكذلك ما جرىٰ في اليمن من قتل للناس ومطاردتهم، علىٰ يد بسر بن أرطاة[١].

---

(١) الطبري ٤ : ١٠٧، و ١٨٧ ـ ٢٠٧.

**الثالث** : انفتاح الناس علىٰ الدنيا وشهواتها وزخارفها وزينتها من الأموال والمناصب والنساء والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيول المسومة والحرث والأنعام، بسبب الفتح الإسلامي الواسع في تلك الأيام، بحيث أن بعض الناس تحول من الفقر المدقع الذي كانوا يعيشون فيه إلىٰ الغنىٰ الفاحش، ووقوع كنوز وثروات القوتين العظميين آنذاك ( الفرس، والروم ) تحت سيطرة المسلمين.

انفتح المسلمون علىٰ مثل هذه الأوضاع التي سمحت بوقوع ما نسميه بمرض : ( الخدر الحضاري ) فان بعض الناس، ولاسيما الخاصة الذين كانوا يعرفون الحقيقة، لكنهم لا يملكون الإرادة للتحرك من أجل الوصول إلىٰ الهدف، بسبب تخدير الشهوات والثروات لأرادتهم، وحبهم للدعة والراحة والمحافظة علىٰ دنياهم[1].

---

(١) هذه الأسباب الثلاثة كان لها تأثير عام علىٰ موقف الأمة من الظاهرة ⇐

اليزيدية، وقد كان الإمام الحسين عليه السلام في نهضته يسعىٰ لمعالجة هذه الأسباب بمجموعها من خلال توضيح الموقف الشرعي نظرياً وعملياً.

ومن خلال التضحية العظيمة بكل ما يملك للتعبير عن الزهد في الدنيا وسمو الأهداف التكاملية للإنسان.

ومن خلال الصبر والصمود والثبات وصلابة الإرادة والعزم لإسقاط عامل الخوف والإرهاب.

وسوف يأتي مزيد من التوضيح لمعالجة الإمام الحسين عليه السلام لهذه الأسباب.

وعلىٰ العكس من ذلك نجد عبيد الله بن زياد يعتمد في القضاء علىٰ هذه النهضة علىٰ عامل الإرهاب والقتل والمطاردة الوحشية وعلىٰ الإغراء وشراء الضمائر بالأموال والعطاء والمناصب وشراء الألسن والأقلام المأجورة، كما أستخدم ـ أيضاً ـ شريح القاضي ليشوشوا علىٰ الناس موقفهم الشرعي الحقيقي.

ومن يرجع إلىٰ الخطاب الأول ليزيد بن معاوية، يجد أن قضية زيادة العطاء، هي القضية الأولىٰ التي طرحها الحاكم الجديد في بيانه الأول للناس، وكذلك الأمر مع عبيد الله بن زياد في أول خطبته مع

وأما **النوع الثاني** من الأسباب التي كانت تخص العراق والعراقيين فنجد :

**أولاً** : درجة القمع العالية التي أختص بها العراقيون دون غيرهم من الناس ، كما أشرنا إلىٰ ذلك في جواب السؤال الأول ، ولذا نجد الأسلوب الوحشي الذي أستخدمه عبيد الله بن زياد في بداية دخوله للكوفة عاملاً بارزاً من العوامل المؤثرة ، ونجد الشيء نفسه في الطريقة التي أستخدمها عبيد الله بن زياد في قتل : مسلم بن عقيل ، وهاني بن عروة ، وجر جثتيهما في الأسواق ، مع أن وراء كل واحدٍ منهما عشرات الآلاف من الأنصار والأعوان ، وكذلك في طريقة قتل : ميثم التمار ، وقطع أطرافه ولسانه وصلبه علىٰ رؤوس الأشهاد ، إلىٰ غير ذلك من الأساليب الوحشية القاسية من قلع العيون ، وهدم

---

ﻫ الناس في الكوفة ، حيث وعد بزيادة العطاء ، البحار ٤٤ : ٣٤٠، مقتل الحسين عليه‌السلام ، للمقرم : ١٢٧ ، الطبري ٤ : ٢٦٧ .

الدور، وإحراقها، وإخراج الناس من ديارهم[1].

**ونجد ثانياً**: التهديد بالقوة الخارجية وهي جيش الشام، لزرع اليأس والقنوط في نفوس الناس والشعور بالعجز وعدم القدرة علىٰ تحقيق الأهداف وإرغامهم علىٰ القبول بالأمر الواقع والاستسلام للظلم والجور والعبودية؛ لان العراقيين بصورة عامة، وأهل الكوفة خاصة،كانوا يعيشون عقدة الهزيمة أمام أهل الشام في حروبهم السابقة مع معاوية، ويشعرون بالضعف والعجز أمام قوة أهل الشام.

**ونجد ثالثاً**: عامل الفرقة والاختلاف وتمزق الصف في العراق؛ لان الوضع السياسي والاجتماعي في العراق منذ الصدر الأول للإسلام؛ كان يتصف بهذا الاختلاف والانقسام والذي تختلف درجته ومستوياته من عصر إلىٰ آخر، وتختلف

(١) ويمكن أن نجد شاهداً لذلك حياً في تاريخنا الحاضر؛ هو ما جرىٰ ويجري في العراق ـ الآن ـ علىٰ يد نظام الكفر والجور (نظام صدام) الذي استخدم مثل هذه الأساليب البشعة من أجل أن يزرع الخوف والرعب في نفوس الناس ويحطم فيهم إرادة الحرية والخلاص.

نتائجه وآثاره من دور إلىٰ آخر، ولكنه يبقى عاملاً مؤثراً وسبباً واضحاً وراء وقوع مأساة كربلاء.

## الانقسام السياسي في العراق

وبهذا الصدد يمكن أن نلاحظ إن الأُمة في العراق كانت تنقسم إلىٰ أربعة أقسام:

**الأول:** جمهور الأمة التي كانت توالي أهل البيت عليهم السلام وتحبهم وتتعاطف في مشاعرها وأحاسيسها معهم، ويمثل هذا الجمهور المادة الرئيسية للقوة في أهل الكوفة، ولكنه جمهور يتأثر بصورة أساسية بعوامل أخرى مهمة ثلاثة:

**أـ** التنظيم العسكري، الذي يهيمن عليه رئيس القبيلة من ناحية والعطاء من ناحية أخرى، حيث أن التنظيم العسكري كان قبلياً بصورة عامة، والعطاء كان بيد الدولة.

ب ـ الولاء لأهل البيت عليهم السلام والارتباط الروحي والنفسي

بهم .

ج ـ قوة وضعف الإرهاب والقسوة في الأحكام .

وفي نظرة سريعة إلىٰ موقف الجمهور المندفع لبيعة الإمام الحسين عليه السلام ، وكذلك إلىٰ مشاعر الحزن والأسىٰ والندم العام في الكوفة بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام ، ثم الاندفاع والتصدي العام للانتقام والثأر لدم الحسين عليه السلام بعد ذلك .

كل هذه الأحداث تدل علىٰ معالم هذا القسم من أبناء الأُمة .

**الثاني** : أهل العلم والمعرفة ، ويمثل هؤلاء طبقة كبيرة وواسعة ومتجذرة في العراق والكوفة ، يكاد أن لا نجد لها نظيراً في غيرها من مناطق العالم الإسلامي .

وهي نخبة تتصف بالصمود والصبر والاستعداد للتضحية والعمل الدائب والطاعة لأهل البيت والإحساس العميق بالمسؤولية ، تجاه قضايا الحق والعدل والخير والإصلاح .

ويمكن أن نجد مثالاً واضحاً لهذه النخبة والصفوة في

أصحاب الإمام الحسين عليه السلام الذين قتلوا في يوم عاشوراء، وفي أولئك الذين تصدوا لقيادة ثورة التوابين وتعبئة الأُمة بعد ذلك للثأر لدم الإمام الحسين عليه السلام.

**الثالث**: أنصار السلطة الأموية الحاكمة، والذين كانوا يلتزمون بمفاهيم السلطة السياسية وشعاراتهم ومصالحها ويرتبطون مصيرياً بها، وهم يمثلون عدداً محدوداً من الناس ويستمدون قدرتهم ونفوذهم من العمق السياسي والقدرة المادية والمعنوية التي تملكها السلطة، ويمثل هؤلاء أشخاصاً مثل: شمر بن ذي الجوشن، والحصين بن نمير، وعمر بن سعد، وأشباههم.

**الرابع**: الانتهازيون من أصحاب المصالح الآنية وطلاب المناصب والمواقع وأتباع القدرة والهيمنة، وهم يمثلون عدداً كبيراً نسبياً من طبقة الأشراف ورؤساء العشائر والعرفاء وقادة الجيش، ولهم دور مهم في الموازنات السياسية ومعادلات القدرة.

ويتجاذب هذا القسم الرابع من الناس عاملان :

**أحدهما** : الأُمة لارتباطهم بها واستمداد قدرتهم منها .

**وثانيهما** : السلطة والمصالح والمواقع ؛ لأنها الهدف الرئيسي السياسي والاجتماعي لهم .

ويمثل هؤلاء عامة القادة ورؤساء الأفخاذ والعشائر في الكوفة أمثال : أولاد الأشعث بن قيس ، وعمرو بن الحجاج ، وشبث بن ربعي .

وهذا الانقسام في الأوضاع السياسية والاجتماعية ، جعل الصراع في داخل العراق محتدماً دائماً ، حيث نجد أمامنا أُمة موالية لأهل البيت تؤثر فيها واقعياً مفاهيم العدل والحق والصلاح والصفوة الصالحة من خلال المبادئ والقيم والمشاعر والعواطف ، ولكن تمسك بها تنظيمياً وتسيرها جماعة من الانتهازيين وأصحاب المصالح الذين تقف وراءهم السلطة بإمكاناتها وقدراتها وأوليائها لتحقيق أغراضهم الفاسدة .

وقد كانت سياسة الأمويين تعتمد بصورة أساسية علىٰ

تشجيع وتطوير القسم الرابع من هذه الأقسام ليحققوا بذلك أغراضهم في الهيمنة علىٰ العراق ومقدراته من خلال شراء الضمائر والذمم بالأموال والمناصب، وذلك بعد أن فشلوا في كسب ود العراقيين أو التأثير علىٰ عقائدهم الدينية والسياسية، وقد قاموا بزرع اليأس في النفوس من إمكان التغيير السياسي والاجتماعي لصالح الحق والعدل، من خلال سياسة القمع والإرهاب، ويتحمل هذا القسم من الناس بصورة أساسية مسؤولية فاجعة كربلاء، بالدرجة الثانية بعد السلطة الأموية وأوليائها.

ولذلك كان هدف الثائرين للأخذ بثأر الحسين هو القسم الثالث والرابع لتصفيتهما جسدياً وسياسياً.

وقد كان تقدير الإمام الحسين عليه‌السلام السياسي منذ البداية، أنه سوف يقتل في كربلاء لمعرفته بطبيعة الظروف السياسية، كما أوضحنا ذلك في حديثنا عن ثورة الإمام الحسين عليه‌السلام (١)،

---

(١) راجع ثورة الحسين عليه‌السلام: ٢٢ ـ ٢٣، للمؤلف.

ولكنه سلام الله عليه اختار أن يكون هذا القتل ضمن حركة مخطط لها، وفي منطقة جغرافية وبشرية موالية لهذه النهضة، تتصدى ـ بعد ذلك ـ لحمل راية هذه النهضة وتتحمل مسؤوليتها، حتىٰ يضمن لهذه النهضة استمرارها وقدرتها علىٰ البقاء والتأثير وتحقيق الأهداف(١)

---

(١) العامل هو الذي يفسر لنا الموقف العدائي لعصبة الأنذال من أمثال: صدام وجلاوزته تجاه شعائر الإمام الحسين عليه السلام لأنهم يعرفون إن شعائر الإمام الحسين عليه السلام، حتى لو جرّدت عن كل ألوان السياسة، فهي تعبير من قبل الحسينيين عن ولائهم وحبهم للإمام الحسين عليه السلام، ولكن أولئك الأوغاد يشعرون إن هذا الولاء والحب للإمام الحسين عليه السلام يعني رفض الطغيان والطغاة وكسر حاجز الخوف الذي يحاول العفالقة المجرمون، أن يقيدوا به إرادة الناس والشعب العراقي، ويعرفون أن الولاء للإمام الحسين عليه السلام، يعني: التنازل عن كل الدنيا من أجل الله والمثل والقيم والعدل والصلاح بين الناس.

وفي الواقع إن تعرض هؤلاء الطغاة للشعائر الحسينية هو من الغباء، وكما قال إمام الأمة الراحل الخميني قدس سره: (الحمد لله رب العالمين ⇐

**السؤال الثالث** : ولكن هنا يبرز سؤال هو : هل عالج الإمام **الحسين** عليه السلام الأسباب الحقيقية للمأساة والتي كانت تمثل أمراض الأُمة ؟ وكيف عالج ذلك ؟.

لقد تمكن الإمام الحسين عليه السلام ومن خلال هذه المأساة الكبرى ـ كما ذكرنا ـ من معالجة الأسباب الرئيسية التي أدت إلىٰ وقوع هذه المأساة ، والتي كانت تشكل ـ هذه الأسباب ـ

---

الذي جعل أعداءنا حمقى ).
فمن غباء العفالقة أنهم تعرضوا لشعائر الحسين عليه السلام ، وهم يعرفون إن الشعب العراقي يرىٰ إن هذه الشعائر الحسينية هي تعبير عن هويته ووجوده ، وأنها متأصلة في جذور هذا الشعب ، ولا يمكن بحال أن تزول عنه أو أن يحيد عنها هذا الشعب الحسيني .
إن الشعب العراقي بأكمله يقف صامداً للمحافظة علىٰ هذه الشعائر ، حتىٰ أولئك الحزبيين الذين انتسبوا إلىٰ الحزب قهراً أو لأسباب أخرىٰ ، وجدوا ـ أيضاً ـ في التعرض لهذه الشعائر محاولة لاستلاب الهوية ، فرفضوا هذه المحاولة .

المشكل الرئيس في الأوضاع الأخلاقية والسياسية والاجتماعية للأُمة الإسلامية آنذاك، وخاصة بالنسبة للمجتمع العراقي.

أولاً: تمكن الإمام الحسين عليه السلام أن يعالج من خلال واقعة كربلاء قضية الوضوح في الرؤية للحكم الشرعي والموقف الشرعي معاً، وقد تمت هذه المعالجة من خلال أمرين رئيسيين في نهضته، مضافاً إلىٰ بيانه للحكم الشرعي في خطبه وأحاديثه، هما:

١ ـ من خلال (المظلومية) ووضوح الظلم والعدوان عليه وعلىٰ القيم والمبادئ الإسلامية وتجاوز الحدود الإلهية، والذي لا يمكن التستر عليه، والذي جسّدته ملحمة كربلاء، فان الأمويين لم يتمكنوا أن يتستروا علىٰ مظلومية الإمام الحسين عليه السلام، ولا أن يبرروا هذا الظلم والعمل الوحشي بكل تفاصيله، ولم تنفع وسائلهم الإعلامية والأقلام المأجورة في تبرير ذلك.

فقد جاء الإمام الحسين عليه السلام إلىٰ العراق بدعوة من أبناء العراق، الذين لم يكونوا قد بايعوا يزيداً، كما لم يبايعه الإمام الحسين عليه السلام من قبل، وعندما نكث أهل العراق العهد معه، طلب عليه السلام أن يتركوه إلىٰ حال سبيله، ليذهب إلىٰ أي بلد من بلاد الله تعالىٰ، وحوّل سلام الله عليه بذلك محور الصراع من الخروج علىٰ الطغيان بالسيف، إلىٰ رفض البيعة ليزيد، ولا يوجد أي مبرر للقتل لدىٰ المسلمين لمجرد رفض البيعة(١)، ولا سيما إذا كانت البيعة تعبر عن الذل والاستسلام كما وصفها سلام الله عليه بقوله: «... **ألا وإن الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلّة والذلّة، وهيهات منا الذلّة، يأبى الله ذلك لنا،**

---

(١) لان الروايات الموضوعة علىٰ لسان النبي صلى الله عليه وآله التي أشرنا إليها والتي تشكل الثقافة العامة الرسمية في ذلك الوقت، لا تدل علىٰ أكثر من حرمة الخروج بالسيف علىٰ الحاكم الجائر.
أما رفض البعية والقبول به والالتزام والأقرار بولايته، فلا تدل هذه الروايات علىٰ حرمتها.

**ورسوله ...»**[1].

كما أن القتل إذا كان هناك ما يبرره لدىٰ بعض هؤلاء المسلمين المضللين، فلا شك أن هذا القتل لا يمكن لأحد من المسلمين حتىٰ أولئك المفرطين في الجهل من الجامدين علىٰ الألفاظ الذين يسمون بأهل الحديث لا يمكنهم تبرير الأعمال الوحشية التي قام بها الأمويون وشيعتهم بإصرار تجاه الإمام الحسين وأهل بيته، مثل: قتل الأطفال، ومنع الماء، وقطع الرؤوس، وسحق الجثث، والتمثيل بالأبدان الطاهرة، وغيرها من الأعمال الشنيعة التي استنكرها أعداء الحسين وعامة أفراد الجيش الذي يقاتله، فضلاً عن الصالحين والخيرين من أبناء الأمة، ولاسيما إن هؤلاء المظلومين هم أقرب الناس إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبقيت هذه المظلومية قضية واضحة في التاريخ الإسلامي ويتفاعل معها أبناء الأُمة الإسلامية علىٰ مختلف طبقاتهم مدىٰ

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام: ٨٢، للمقرم.

الأجيال دون أن يستطيع اليزيديون وأتباعهم التستر عليها أو تبريرها.

٢ـ قضية السبي والأسر لحرم رسول الله ﷺ وعيالاته وأبنائه وبناته، إذ لا يوجد في الإسلام وتراثه ما يمكن أن يبرر هذا العمل البشع، فهي لا يمكن تبريرها أو التستر عليها ـأيضاًـ، ولو افترضنا أن الأمويين حاولوا أن يقدموا التفسير للأُمة في قتلهم للإمام الحسين عليه السلام، بأنه خارجي وحاول أن يشق عصا المسلمين بخروجه على الحكم!!، فلا يمكنهم بأي حال أن يقدموا مثل هذا التفسير لجريمة السبيّ لعيالات وحرم رسول الله ﷺ، وسلب ونهب رحله، وحرق بيوتهم، وقتل الأطفال، وإرعاب النساء، لان المسلمين يجمعون علىٰ حرمة سبي نساء المسلمين حتىٰ لو كانوا بغاة خارجين، بل حتىٰ لو افترضنا أن مسلماً خارجياً تحرك ضد الدولة الشرعية وكان البغي علىٰ دولة الحق، وقد ترك الإمام علي عليه السلام سبي نساء وغنم أموال أهل الجمل وأهل النهروان وأهل صفين البغاة

الخارجين علىٰ الإمام الخليفة الحق الإمام علي عليه السلام، لأن الحكم الشرعي هو ذلك، مع إن أصحاب الإمام علي عليه السلام قد طالبوه بالغنيمة والسبي في معركة الجمل فرفض ذلك وأوضح الحكم الشرعي في هذه الواقعة، وأصبحت سيرته وعمله سنة يلتزم بها المسلمون جميعاً علىٰ المستوى النظري.

ولذلك لم يكن الأمويون قادرين علىٰ التستر علىٰ هذه الجريمة الوحشية، وحاولوا أن يعرفوا أهل البيت عليهم السلام في بلاد الشام بأنهم من سبايا المشركين من ( الترك والديلم ).

ومن هنا يعتبر السبي وما جرى علىٰ زينب والإمام زين العابدين سلام الله عليهما وحرم الحسين عليه السلام يمثل الجانب الثاني من الثورة الحسينية، فمقتل الإمام الحسين عليه السلام في جانب، وسبي حرم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جانب آخر[1].

(١) وبذلك يمكن أن نفسر ما ورد عن الإمام الحسين عليه السلام عندما سئل عن السر في اصطحاب النساء، قال: «شاء الله أن يراهن سبايا»، مقتل الحسين عليه السلام: ١٦٧، للمقرم، عن البحار.

إن ما قام به يزيد وأتباعه الأمويون، هو خرق واضح لكل التعاليم الإسلامية، وهو خروج صارخ على الإسلام وتعاليمه، ولذلك اضطر للتراجع عن موقفه تحت ضغط الرأي العام، بعد أن فشلت محاولات التبرير أو التستر على الجريمة.

**ثانياً**: حاول الإمام الحسين عليه السلام أن يعالج قضية الخوف والإرهاب الذي يجعل الناس - تحت ضغطه - يفقدون إرادتهم على الحركة في مواجهة الظلم والطغيان والظاهرة الفرعونية، وأن يكسر حاجز الخوف ويحرر إرادة الأُمة بهذه التضحية

---

وقد أكدت العقيلة زينب عليها السلام في خطبتها الملحمية في مجلس يزيد في الشام هذا الموضوع المهم في كشف الزيغ والضلال الأموي بقولها:

**«... أمن العدل يا ابن الطلقاء، تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمعاقل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف، ليس معهن من حماتهن حمي ولا من رجالهن ولي ...»**، مقتل الحسين عليه السلام: ٣٥٧، للمقرم.

العظيمة الواسعة، وهذا الصمود والثبات في الموقف فانه سلام الله عليه منذ تحركه وانطلاقه بالنهضة وخروجه عليه السلام من المدينة، وحتىٰ مصرعه عليه السلام في كربلاء، كان يعبر عن مواقف صامدة وثابتة علىٰ طول الخط والمسير ... ثم اكمل هذا الموقف أهل البيت عليهم السلام وأصحابهم رضوان الله عليهم الذين كانوا يمثلون جميع النماذج والطبقات الاجتماعية، فقد كان فيهم : العالم، وقارئ القرآن، ورئيس العشيرة، وقائد الجيش، والزعيم، والمجاهد، والعبد الأسود، والتركي، وكان فيهم الصحابي، والتابعي، وجديد العهد بالإسلام، وعامة الناس وسادتهم، وقد كانوا جميعاً يعبرون عن موقف واحد صامد لا يعرف الخوف أو التردد أو التزلزل، وهو ما حطّم حاجز الخوف في نفوس المسلمين إقتداءً بهذه الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة، المتمثلة بالإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الأبرار وصحبه الأخيار.

**ثالثاً :** عالج الإمام الحسين عليه السلام عامل حب الدنيا والتمسك

بها بما فيها من لذات وشهوات وأهواء وميول ومن أموال ومواقع اجتماعية وجاه ومناصب دنيوية، من خلال خطبه وأحاديثه التي ركز فيها علىٰ هذا الموضوع، سواء في التمهيد للنهضة أو في أثناء المواجهة والمعركة مع جمهور أهل الكوفة[1].

ولكنه سلام الله عليه لم يكتف بالحديث، بل قدم القدوة

---

(١) مثل قوله مخاطبا الجيش الأموي: «**أيها الناس إن رسول الله صلىٰ عليه [وآله] وسلم قال: من رأىٰ سلطاناً جائراً، مستحلاً لحلال الله، ناكثاً عهده، مخالفاً لسنة رسول الله صلىٰ عليه [وآله] وسلم، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً علىٰ الله أن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا الشيطان، وتركوا طاعة الرحمٰن، واثروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرمّوا حلاله، وأنا أحق من غيّر...**»، الطبري ٤: ٣٠٤.

ومثل قوله عليه السلام: «**... والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر لكم إقرار العبيد...**»، الطبري ٤: ٣٢٣.

أو قوله عليه السلام: «**... لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برما**»، الطبري ٤: ٣٠٥، حوادث سنة ٦١، بأختلاف يسير.

الصالحة عملياً وواقعياً في التنازل عن الدنيا الواسعة العريضة التي كانت بين يديه.

فالحسين عليه السلام أفضل وأشرف إنسان في ذلك العصر باعتراف وقبول جميع أهل عصره، وكان موضع الاحترام والتقدير من الأُمة والدولة والعلماء والفقهاء والزعماء، وتحت يده الإمكانات الواسعة الكبيرة[1].

ولكنه ضحىٰ بكل ذلك من أجل الإسلام، بحيث انتهى الأمر به أن تداس وتسحق أضلاعه بسنابك الخيل وبتلك الطريقة الهمجية.

---

(١) وتنقل الروايات أن الإمام الحسين عليه السلام حينما التقىٰ بالحر بن يزيد الرياحي وأصحابه، الذين كانوا يبلغون ألف فارس علىٰ خيولهم، سقاهم الإمام الحسين عليه السلام من الماء دفعة واحدة، وهو ما يدلل علىٰ القدر الكبير من الإمكانات التي كان يملكها الإمام عليه السلام، كما أن أصحاب الإمام الحسين عليه السلام كانت لهم مقامات اجتماعية ومناصب ومواقع، وقد تنازلوا عن ذلك جميعاً تضحية وبذلاً في سبيل الله تعالىٰ، وهو درس واضح للناس في موضوع التنازل عن الدنيا، راجع الطبري ٤ : ٣٠٢.

وكانت التضحية واسعة وعميقة وبإرادة قوية وتصميم سابق ورؤية واضحة شملت النفس والأهل والأصحاب والرجال والنساء والصغار والكبار، ولذلك نجد التأثير الكبير والسريع لهذه التضحية علىٰ الأُمة كلها، سواء أهل الكوفة أو أبناء الأُمة الإسلامية في البلاد الأخرىٰ.

## دور العراقيين في نهضة الإمام الحسين عليه السلام

**السؤال الرابع**: يبدو أمامنا سؤال: ما هو دور العراق والشعب العراقي في هذه النهضة وتأثيراتها؟

لقد كان للشعب العراقي في نهضة الإمام الحسين عليه السلام دور متميز يمكن أن نبينه في النقاط التالية:

**الأولى**: إيجاد الغطاء السياسي والمبرر الاجتماعي لدىٰ أوساط الأُمة لهذه النهضة من خلال دعوة العراقيين أهل الكوفة، للحسين عليه السلام ومبايعتهم له علىٰ النهضة وإقامة حكومة

الحق والعدل، ومساندته في القيام بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله.

وقد كان الإمام الحسين عليه السلام بحاجة إلى هذا الغطاء، لتبرير هذه النهضة في أوساط الأمة الإسلامية والمجتمع الإسلامي، وان لم يكن بحاجة إلى ذلك من الناحية الشرعية والمبدئية.

ولم تبادر أي جماعة من أوساط الأمة الإسلامية إلى ذلك، غير العراقيين.

**الثانية**: المشاركة الفعلية الواسعة لأهل الكوفة والعراقيين في هذه النهضة عملياً وواقعياً، سواء في مراحل التمهيد والتضحيات التي قدموها في هذا المجال، أمثال: هاني بن عروة، وميثم التمار، وقيس بن مسهر الصيداوي، وغيرهم من المستشهدين أو المعتقلين والمعذبين، الذين ازدحمت بهم سجون ومعتقلات ابن زياد، قبل شهادة الإمام الحسين عليه السلام، أو في مرحلة المواجهة المسلحة والقتال البطولي العنيف في يوم عاشوراء، إذ أن عامة أصحاب الحسين عليه السلام ـ من غير أهل بيته ـ

الذين قتلوا معه ، ووصفهم بأنهم خير الأصحاب كانوا من العراقيين ، وفيهم نسبة كبيرة من وجوههم وأعلامهم المتميزين أمثال : حبيب بن مظاهر الأسدي ، ومسلم بن عوسجة ، والحر بين يزيد الرياحي ، وزهير بن القين ، وعابس بن شداد الشاكري ، وبرير بن خضير ، وغيرهم من كبار الشخصيات المعروفة لدىٰ أهل الكوفة[١] .

**الثالثة** : أن نهضة الإمام الحسين عليه السلام وثورته ومأساة كربلاء ، كان لها تأثير واسع في أوساط الأُمة الإسلامية عامة ، ولكن كان

---

(١) وكمثال علىٰ ذلك : عندما استشهد مسلم بن عوسجة يوم عاشوراء ، هتف أصحاب عمر بن سعد : لقد قتلنا مسلماً ... فصاح بهم شبث بن ربعي ، وكان قائداً لربع الجيش الأموي : أتفرحون لقتل مسلم ، وهو علىٰ ما هو عليه من البطولة والشجاعة والشرف ، وقد قاتل وحده في فتح آذربايجان قبل أن تأتي جيوش المسلمين ، وكذلك الأمر مع برير بن خضير ، الذي كان معروفاً في الكوفة بالعلم وتعليم القرآن ، وكذا عابس الشاكري ، والحر بن يزيد الرياحي ، وغيرهم .

لها تأثير متميز وخاص وعميق في أوساط الشعب العراقي وأهل الكوفة، بحيث يمكن أن نقول: بأن أبناء الشعب العراقي وأهل الكوفة، الذين بايعوا الإمام الحسين عليه السلام على نصرته، لم يتخلوا عن مسؤوليتهم في هذه البيعة والالتزام بالوفاء بها ومواصلة مسيرتها، وإن أصاب عامتهم الوهن والضعف، بسبب الخوف والرعب في البداية.

ولعل هذا هو السبب الأهم الذي دعا الإمام الحسين عليه السلام أن يختار التوجه للعراق في نهضته، علىٰ الرغم من معرفته بالنتائج المأساوية (العاجلة) التي سوف يواجهها في العراق والكوفة، ولكنه سلام الله عليه كان ينظر إلىٰ المستقبل والآثار والنتائج (الآجلة) التي تترتب علىٰ هذه النهضة.

ومن أجل توضيح هذه النقطة لابد أن نشير إلىٰ أن تأثير ثورة الإمام الحسين عليه السلام كان علىٰ خطين رئيسين:

**الخط الأول**: تأثيرها علىٰ أهل العراق عامة وأهل الكوفة خاصة.

**الخط الثاني** : تأثيرها علىٰ عموم الأُمة الإسلامية في مختلف بلادها .

أما علىٰ مستوىٰ الخط الأول فنجد : أن أهل الكوفة قد تحمّلوا مسؤولية هذه النهضة من خلال السعي لتحقيق هدفين مهمين :

**أحدهما** : عاجل ، وهو الثأر لدم الإمام الحسين عليه السلام وتصفية العناصر المجرمة التي شاركت في قتله من القسم الثالث والرابع من أصناف الأُمة الذين تحدثنا عنهما سابقاً .

**وثانيهما** : هدف ثابت كان يمثل هدف النهضة والثورة الحسينية ، وهو القضاء علىٰ الحكم الأموي ، الذي كان يجسّد انحرافاً خطيراً في الحكم الإسلامي ، ليس علىٰ مستوىٰ الظلم العظيم والجور الشديد فحسب ، بل علىٰ مستويات أخرىٰ خطيرة :

مثل : العداء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام ، الذي كان يجسّده شعار سب علي عليه السلام من علىٰ المنابر ، وما كان يصدر من

الأمويين منذ عهد معاوية إلىٰ عهود بعض خلفائهم الآخرين من بغض وعداء للرسول ﷺ وللرسالة الإسلامية نفسها.

ومثل: الرجوع بالأُمة الإسلامية إلىٰ الأساس الاجتماعي الجاهلي، الذي يقوم علىٰ أساس التفضيل القومي والعرقي للعرب كعقيدة سياسية علىٰ الشعوب الإسلامية الأخرىٰ، هذا الانحراف الذي كان يهدد الرسالة الإسلامية بتحولها إلىٰ رسالة قومية، كما انتهت إلىٰ ذلك الرسالة اليهودية(١).

فعلىٰ مستوىٰ هدف الثأر لدم الإمام الحسين عليه السلام، نجد أهل الكوفة بعد مقتل الإمام الحسين، يحملون شعار (يا لثارات الحسين) فيبدءون بالإنكار لهذه الجريمة الوحشية، ثم

---

(١) هذه الانحرافات وإن كانت تحتاج إلىٰ بحث مستقل تأريخي سياسي واجتماعي، يتبين فيه الفرق بين النظرية الإسلامية في الحكم ومباني الدولة الأموية، وكذلك الفرق بين الدولة الأموية والعباسية بالنسبة إلىٰ هذه الانحرافات، ولكن توجد كثير من الشواهد التاريخية علىٰ هذه الانحرافات، وقد أشرنا ـ سابقاً ـ إلىٰ بعض معالم هذه الانحرافات في جواب السؤال الأول.

ينطلقون بعد ذلك في ثورة عارمة جادة، ويقاتلون بتضحية عالية تقدم العطاء في سبيل تحقيق هذا الهدف في ( حركة التوابين ) بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي، وأمثاله من وجوه الكوفة ، يقاتلون حتىٰ يستأصلون عن آخرهم، وهم حوالي ( ٤٠٠٠ ) مقاتل من أجل حمل هذا الشعار...

وكانت هذه الحركة، هي أول حركة انطلقت بهذا الشعار وقاتلت عبيد الله بن زياد وهدّدت الحكم الأموي في الكوفة وفي العالم الإسلامي، ثم لم يكتف أهل الكوفة بهذه التضحية الكبيرة حتىٰ ينطلقون في حركة ثانية، هي : حركة المختار بن عبيدة الثقفي، الذي كان يعتمد فيها علىٰ أهل الكوفة الذين قاتلوا مع المختار قتال الأبطال، وتمكنوا من تحقيق هدفهم في الثأر لدم الإمام الحسين عليه‌السلام وذلك :

**أولاً** : بإخراج الكوفة من سلطة الأمويين.

وثانياً : الأخذ بثأر الإمام الحسين عليه‌السلام بتصفية العناصر

الرئيسية المجرمة التي شاركت في هذه الجريمة الوحشية البشعة، أمثال: عبيد الله بن زياد، وعمر بن سعد، وشمر بن ذي الجوشن، وسنان، والخولي بن يزيد، والحصين بن نمير، وحرملة بن كاهل الأسدي، وغيرهم من رؤوس الأجرام ومحاور الجريمة، والذين كان لهم دور خاص في إجبار الناس علىٰ الخروج لقتال الحسين عليه السلام، أو القيام بأعمال الإرهاب والقمع و الإصرار علىٰ تنفيذ أوامر عبيد الله بن زياد، بدون رادع من دين، أو ضمير، أو أخلاق، أو تقاليد.

وأما علىٰ مستوىٰ الهدف الآخر، وهو: القضاء علىٰ الحكم الأموي، فنجد أهل الكوفة لم يكتفوا بهدف الأخذ بثأر دم الحسين من قاتليه، بل بقي أهل الكوفة ينتظرون الفرص ليوجهوا الضربات إلىٰ الحكم الأموي مرة بعد أخرى، حتى تم لهم تحقيق هذا الهدف الكبير في نهاية المطاف.

فكانت ثورة: عبد الرحمن بن الأشعث، الذي اشتركت فيها عناصر مهمة من كبار شيعة الإمام علي عليه السلام ومن التابعين

المعروفين أمثال : سعيد بن جبير.

ثم كانت ثورة زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام ضد الحكم الأموي أيام هشام بن الحكم.

وهكذا توالت الانتفاضات وتمركزت الحركة السياسية المعادية للأمويين في عموم العراق والمناطق التابعة له إدارياً وعسكرياً والتي انتشر فيها العراقيون كأشخاص منفيين ومبعدين من قبل الدولة، أو كجنود وقوات مقاتلة للمحافظة علىٰ الأمن أو الثغور الإسلامية في هذه المناطق، مثل : مناطق الري، وطبرستان، وخراسان، وهمدان، وفارس، وغيرها من مناطق الشرق الإسلامي، حتىٰ تمكن العراقيون من إسقاط الحكم الأموي، تحت شعار : ( الرضا من آل محمد )، ولقد كان العراقيون بصورة عامة وأهل الكوفة بصورة خاصة يشعرون بالمسؤولية تجاه دم الإمام الحسين ومأساة كربلاء.

وهذا هو الذي يفسر لنا الاهتمام الخاص من أئمة أهل البيت عليهم السلام بالكوفة والعراق، كما تؤكد علىٰ ذلك النصوص

الواردة عنهم(١).

---

(١) عن سلمة بن كهيل قال: (لما التقىٰ أهل الكوفة بأميرالمؤمنين عليه السلام بذي قار، رحبوا به ثم قالوا: الحمد لله الذي خصنا بجوارك، أكرمنا بنصرك، فقام أمير المؤمنين عليه السلام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنىٰ عليه وقال: **«يا أهل الكوفة إنكم من أكرم المسلمين، واقصدهم تقويما، واعدلهم سنة، وأفضلهم سهما في الإسلام، وأجودهم في العرب مركبا ونصابا، أنتم اشد العرب ودّاً للنبي صلىٰ الله عليه وآله وأهل بيته، وإنما جئتكم ثقة بعد الله بكم ...»**)، الإرشاد: ١٣٣، طبع بصيرتي.

عن حنان بن سدير، عن أبيه قال: (دخلت أنا .. فإذا رجل في بيت المسلخ (الإمام السجاد عليه السلام) فقال لنا: ممّن؟ فقلنا: من أهل العراق، فقال: وأيُّ العراق؟ فقلنا: كوفيّون، فقال: **«مرحباً بكم يا أهل الكوفة أنتم الشعار دون الدثار ...»**) البحار ٤٦: ١٤١، ح ٢٤، عن الكافي.

عن المسيب بن نجبة الفزاريّ قال: (لما أتانا سلمان الفارسي .. ثم سار إلىٰ الكوفة، فقال: (سلمان) هذه الكوفة؟ قالوا: نعم، قال: قبّة الإسلام)، البحار ٢٢: ٣٨٦، ح ٢٧، عن رجال الكشي.

عن أبي بصير قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **«إنّ ولايتنا**

لأنهم كانوا يرون الكوفة والعراق قاعدة لهم، ولان هوية العراقيين هي حب أهل البيت عليهم السلام والتشيع لهم، وقد أكد هذه الهوية وجود ستة مراقد لأئمة أهل البيت عليهم السلام بدءاً من مرقد أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ومروراً بمرقد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، والكاظمين: (الإمام الكاظم، والإمام الجواد عليهما السلام) في بغداد، وانتهاءً بمرقد الإمامين العسكريين: (الإمام الهادي، والإمام الحسن العسكري عليهما السلام) في سامراء، مضافاً إلىٰ أن العراق، هو مولد الإمام الحجة ومقر الغيبة الصغرى له عليه السلام ومحل ومدفن نوابه الأربعة[1]، كما أن

---

**عرضت علىٰ السّماوات والأرض والجبال والأمصار ما قبلها قبول أهل الكوفة »)**، البحار ٢٣ : ٢٨١، ح ٢٦، عن بصائر الدرجات.

(١) النواب الأربعة للإمام المهدي عجل الله تعالىٰ فرجه الشريف في غيبته الصغرىٰ، هم حسب التسلسل الزمني:

١ ـ عثمان بن سعيد العمري.

٢ ـ محمد بن عثمان بن سعيد العمري.

٣ ـ الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي.

٤ ـ علي بن محمد السمري ...، وكلهم مدفونون ببغداد.

فيه عدداً كبيراً من مراقد أولاد الأئمة وأصحابهم المنتجبين.

فلم يكن ارتباط العراق بأهل البيت عليهم السلام وهويته العلوية أمراً طارئاً أو مرتبطاً بمقطع زمني محدود، بل كان ارتباطاً عميقاً منذ الصدر الأول للإسلام، وحتى يومنا الحاضر.

## آثار النهضة على الأُمة الإسلامية

وأما تأثير ثورة الإمام الحسين عليه السلام على مستوى الخط الثاني، وهو الأُمة الإسلامية، فقد كانت لنهضة الإمام الحسين عليه السلام آثار عظيمة على مستوى الأُمة الإسلامية كلها، ومن خلال مراجعة هذه الآثار وفحصها، نجد إن الإمام الحسين عليه السلام تمكن من أن يحقق بنهضته وتضحيته العالية أهدافه المقدسة التي كان يسعى لها، كما وان هذه الأهداف التي حققها الإمام الحسين عليه السلام تستحق ـ لأهميتها ـ هذه التضحية وهذا البذل والعطاء الذي نجده في واقعة كربلاء، وما

جرىٰ علىٰ الإمام الحسين عليه السلام وعلىٰ صحبه وعيالاته من آلام ومحن ومصائب.

**أولاً**: إن نهضة الإمام الحسين عليه السلام كان لها أثر فعلي سريع علىٰ مستوىٰ الجانب الأخلاقي للأُمة الإسلامية، بحيث تمكنت أن توجد هزّة في ضمير الأمة ووجدانها، بصورة مباشرة وسريعة، حررت إرادتها في الحركة باتجاه الأهداف التي أعلنها الإمام الحسين عليه السلام.

فمثلاً نجد: أن الإمام الحسين عليه السلام ،الذي كان يسكن المدينة المنورة، ثم يخرج منها إلىٰ مكة، ثم يستقر في مكة بعد ذلك حوالي أربعة أشهر، وهي: شعبان، وشهر رمضان، وشوال، وذو القعدة، وأياماً من ذي الحجة، ومع كل ذلك لم نلاحظ بروز أي حركة سياسية مناهضة للحكم الأموي في المدينة المنورة، التي كانت مقراً للإمام الحسين عليه السلام، كما أنها قبل ذلك كانت مقراً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومقر أصحابه الكرام، والطليعة الإسلامية التي تربت علىٰ يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد رفع الإمام الحسين عليه السلام ـ وكما هو معروف ـ هذا الشعار عند خروجه من المدينة: «... **وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله، أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي ...**»، كما جاء ذلك في وصيته لأخيه، محمد بن الحنفية ...

ولكن لم نجد لهذا الشعار تجاوباً فعلياً وحركياً في المدينة المنورة، نعم قد يكون هناك تجاوب على مستوى الفكرة والعقيدة والعواطف، ولذلك لم يجد الإمام الحسين عليه السلام الظروف القائمة في المدينة تسمح بالتحرك السياسي فيها، فخرج من المدينة إلى مكة، وهكذا الحال في مكة المكرمة، فإنه طيلة بقاء الإمام الحسين عليه السلام فيها، لم نجد حركة سياسية فعلية في مواجهة الحكم الأموي، وبقي الإمام الحسين عليه السلام ينتظر الموقف في العراق ورسائل وحركة أهل العراق، حتى إذا ما تكامل الوضع التعبوي في العراق تحرك

الإمام الحسين ﷺ قاصداً العراق لينطلق بنهضته المباركة من هناك، هذا كله قبل الثورة، ولكن المدينة المنورة التي لم تتحرك قبل ثورة الإمام الحسين ﷺ تحركت بكل وجودها بعد الثورة الحسينية وقامت بمحاصرة الأمويين والحكم الأموي فيها، واستولىٰ المهاجرون والأنصار فيها علىٰ الوضع السياسي وبقي مروان بن الحكم وعدد كبير من الأمويين وأنصارهم ـ يقدرون بألف شخص ـ محاصرين في المدينة، ولم يجدوا لحرمهم وأسرهم ملجأ، إلا بيت الإمام زين العابدين ﷺ.

وصمد المدنيون في وجه جيش الشام، الذي أرسله يزيد لقمع الانتفاضة، واستبسلوا في الدفاع و المواجهة، حتىٰ بطش بهم جيش يزيد بقيادة : مسلم بن عقبة المري، الذي تعامل معهم بوحشية واستهتار بكل الحرمات في ( وقعة الحرة )، فأباد الرجال واستباح الأموال والنساء، وأخذ البيعة ممن بقي منهم علىٰ أن يكونوا عبيداً خولاً ليزيد بن معاوية، وتذكر الروايات التاريخية أن هناك اكثر من ألف امرأة حرّة حملت عن

سفاح أرتكبه الجيش الأموي .

• ومكـــة المكـــرمة التـــي كـــانت قـــبل نـــهضة الإمـــام الحسين عليه السلام هادئة ـكما ذكرنا ـ، تخرج وتتمرّد ـأيـضاً ـ عـلىٰ الحكم الأموي بعد نهضة الإمام الحسـين ، وقـد أرسـل يـزيد جيشه الذي أباح المدينة ، ليقوم بنفس هذا العـمل فـي مكـة المكرمة ، وقد حاصر هذا الجيش مكة وضرب الكعبة الشريفة بالمنجنيق وهدم قسماً منها ، ولم يمنع من سقوطها عـنوة إلا موت قائد الجيش ، وانسـحاب الجـيش الأمـوي ـبـعد ذلك ـ عندما جاءه خبر موت يزيد .

**ثانياً** : نلاحظ تطور الوعي السياسي في الأُمة بعد ثورة الإمام الحســين ، بــحيث أصـبحت الثـورة والانـتفاضة ضـد الظـلم والطغيان والاستبداد واستعداد للبذل والعطاء في هذا السبيل ، جزءاً من الواقع السياسي والثقافي في الأُمة .

فــقد شــهد المـجتمع الإسـلامي حـركة واسـعة سـياسية جهادية ، عرفت بعد ذلك بالحركة : ( الزيدية ) نسبة إلىٰ زيد بن

علي بن الحسين عليهما السلام ، والتي رفعت شعاراً : أن الإمامة هي القيام بالسيف ضد الظالم ، ونجد أن هذه الحركة في وضعها السياسي وتعبئتها ، كانت تعتمد بشكل أساس علىٰ مضمون ومبادئ حركة الإمام الحسين عليه السلام .

وقد كان لهذه الحركة إمتدادات واسعة وكبيرة في الأُمة ، حيث بدأت في العراق بقيادة زيد بن علي رضي الله عنه ، والذي يعّرفه الإمام الصادق عليه السلام بأنه : «**كان عالماً من علماء آل محمد** صلى الله عليه وآله وسلم » وانه لم يدع إلىٰ نفسه ، وإنما دعا للرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم (١) .

ثم توسعت وامتدت في العالم الإسلامي من خلال ولده يحيىٰ بن زيد ، الذي ثار في طبرستان وقتل فيها ، وقبره معروف .

(١) عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال في حديث طويل : « **... ولا تقولوا خرج زيد ، فإن زيداً كان عالماً وكان صدوقاً ، لم يدعكم إلىٰ نفسه ، وإنما دعاكم إلىٰ الرضا من آل محمد** صلى الله عليه وآله وسلم **، ولو ظهر لوفىٰ بما دعاكم إليه ...** » ، وسائل الشيعة ١١ : ٣٥ ـ ٣٦ ، كتاب الجهاد ، ب ١٣ ، ح ١ .

فيها ، وامتدت الحركة بعد ذلك في حركة محمد بن عبد الله بن الحسن المثنىٰ المعروف : بـ ( ذي النفس الزكية ) وحركة أخيه إبراهيم بن عبد الله المحض .

كل هذه الحركات كانت مثل امتداداً لخط الزيدية .

والىٰ جانب هذه الحركة ، كانت الحركة الثانية التي سميّت بالحركة العباسية ، ترجع في جذورها السياسية وأرضية نجاحها إلىٰ نهضة الحسين عليه‌السلام والتحمت مع الحركة الزيدية في شعارها : ( الدعوة إلىٰ الرضا من آل محمد ) ؛ ولكنها انحرفت في أهدافها ومقاصدها .

وقد تمكنت هاتان الحركتان ـ مضافاً إلىٰ التحرك العام في وسط الأُمة ضد الأمويين ـ من إسقاط الحكم الأموي .

ويمكن من خلال مراجعة كتاب مقاتل الطالبيين ، أن نلاحظ عمق تأثير ثورة الحسين عليه‌السلام ،في إيجاد الوعي السياسي ضد الظلم والطغيان الأموي .

**ثالثاً** : إيجاد الوعي الثقافي والشرعي ، تجاه الموقف من

الحاكم الظالم، إذ كان الرأي السائد الذي روج له معاوية قبل خروج الإمام الحسين عليه السلام هو القبول والاستسلام للحكم الجائر والاكتفاء معه بالنصيحة له دون السماح بالخروج عليه بالسيف، بل كان أساس حكم معاوية يقوم علىٰ هذا الرأي، لأنه كان يطارد الثائرين علىٰ عثمان تحت هذا الشعار، ولكن الأُمة بعد نهضة الإمام الحسين عليه السلام، أصبحت تدرك بوعي شرعي أن القيام بوجه الحاكم الظالم عندما يتمادىٰ فيه غيّه وانحرافه وجوره، هو من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وترفض القبول بالانحراف والاستسلام له، سواء كان انحرافاً عقائدياً أو عملياً في مجال تطبيق الأحكام الشرعية أو السياسية.

صحيح إننا قد نشاهد في بعض الروايات أو النصوص والآراء الفقهية من يرفض هذا النوع من التحرك، تحت شعار تسميته: بالبغي أو تبرير الرفض، بأن الضرر المترتب عليه اكثر من الفائدة، ولكن من الناحية الواقعية العملية، نجد أن الموقف

العام في الثقافة الإسلامية تجاه حكام الجور، هو الخروج عليهم وعدم الاستسلام إلىٰ انحرافهم وظلمهم.

فالموقف الواقعي في الأمة تاريخياً، هو موقف مستمد من ثورة الإمام الحسين عليه السلام الرافض للطغيان والظلم والانحراف[1].

---

(١) جاء في روايات وكتب جمهور المسلمين ما ينسب إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه أوصىٰ أصحابه بالسكوت والاستسلام للحاكم الجائر... وقد أفتىٰ بعض علمائهم بذلك، وقد روج لهذه الروايات الحكم الأموي ورموزه، وكذلك روج لها حكام بني العباس بعد ذلك حتىٰ تسرب مضمونها إلىٰ فتاوى الفقهاء والقضاة، كما ترغب تحقيقاً لرغبة السلطان والحاكم.

وهذا الموضوع إذا أردنا أن نبحثه من الناحية الفقهية وطبق الضوابط والأُصول التي يعتمدها الفقهاء فسوف نتبين **ما يلي**:

١ ـ إن بعض هذه الروايات موضوع ومروي عن طرق الرواة الضعفاء، الذين لا يعتمد علىٰ روايتهم.

٢ ـ إن بعض هذه الروايات لا يقصد ولا يستفاد منها هذا المعنىٰ، ولكن أوّلها المتأولون وفسروها بما يخدم أغراض السلطان الجائر.

٣ ـ أن الفقهاء لم يجمعوا علىٰ هذا الموقف المهادن للسلطان الجائر،

أن نهضة الإمام الحسين عليه السلام كان لها اثر عظيم في ترسيخ الموقف الشرعي الصحيح للإسلام في أوساط الأُمة والأوساط الفقهية ، وهو موقف الرفض للحاكم الجائر وجواز القيام ضده .

ومن هنا نجد أمامنا حقيقة مهمة ، وهي أن آثار نهضة الإمام الحسين عليه السلام لم تكن محدودة بحدود الشعب العراقي ، وإنما كان لها تأثير عظيم علىٰ مستوىٰ الأُمة الإسلامية جمعاء ، ومن أجل الأهداف الإسلامية العليا .

---

فإننا نجد بعض كبار الفقهاء ، وحتى من فقهاء الجمهور كالإمام أبي حنيفة ، وهو من كبار أئمة أهل السنّة ، هؤلاء الفقهاء لم يقبلوا هذا الموقف المهادن وتعرضوا بسبب رأيهم هذا إلىٰ السجن والمطاردة ، كما حدث لأبي حنيفة ، وكذلك زيد رضي الله عنه بن علي بن الحسين عليهما السلام ، وهو من كبار الأئمة المعروفين عند جمهور المسلمين ، الذي قال فيه الإمام الصادق عليه السلام : « **أنه كان من علماء آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم** » ، وكذلك احمد بن حنبل إمام الحنابلة لم يلتزم بهذا الحكم وتعرض للمطاردة والضرب بسبب مواقفه من الحكام .

# الفهرست

صدر من سلسلة ( أنوار الحكمة ) :

١ ـ الشباب أمل المستقبل .

٢ ـ الجهاد.

٣ ـ العلاقة بين القيادة والأُمة من خلال رؤية نهج البلاغة .

٤ ـ حقوق الإنسان من وجهة نظر إسلامية .

وبعض الكتب المهمة الصادرة للسيد الحكيم :

١ ـ الحكم الإسلامي بين النظرية والتطبيق .

٢ ـ علوم القرآن .

٣ ـ الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين .

٤ ـ ثورة الحسين عليه السلام .

٥ ـ دور الائمة في بناء الجماعة الصالحة ج ١

٦ ـ القصص القرآني .

٧ ـ الهدف من نزول القرآن .

٨ ـ حوارات ١ و ٢ .

منشورات

دار الحكمة / القسم الثقافي

قم المقدسة ـ ص ب ٣٧١٨٥/١٦٣

## «من هذا الكتاب»

... إنّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام وثورته ومأساة كربلاء، كان لها تأثير واسع في أوساط الأُمّة الإسلاميّة عامّة، ولكن كان لها تأثير متميّز وخاصّ وعميق في أوساط الشعب العراقي ...



منشورات دار الحكمة / القسم الثقافي